الافتتاحيّة[1]

مداليل السنن القرآنية

الشيخ حسن أحمد الهادي

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين، وصحبه المنتجبين وبعد.

مفهوم السنن

تشغل السنن الإلهيّة حيّزًا واسعًا في البحوث والدراسات القرآنيّة، وإنّ فهم السنن الإلهيّة يشكّل دعامة أساسيّة من دعائم الفهم الشامل للإسلام، ويؤيّد هذا الكلام الآيات الكريمة الكثيرة التي تغطّي الحديث عن السنن الإلهيّة، وفي هذا ما فيه من أهمّيّة لهذا الموضوع، وتلك العناية والرعاية بهذا الموضوع من القرآن الكريم، إشارة واضحة على ضرورة أنْ يعتني به المسلمون، وأن يولوه من الأهمّيّة ما يستحقّ؛مثله مثل بقية مواضيع القرآن العظيم.

وقد وردت في اللغة العربيّة، حيث كان العرب يستعملون كلمة سنّة في محاوراتهم وأحاديثهم، ثمّ أتى الإسلام ونزل الوحي على رسول الله ﷺ، وأخذت هذه الكلمة معنًى جديدًا، فهي كانت تدلّ في لغة العرب على الصبّ والجريان؛ وهو المعنى الأصليّ لهذه الكلمة: «**سننت الماء على وجهي أسُنّه سنًّا: إذا أرسلته إرسالًا، ثمّ اشتقّ منه رجلٌ مسنون الوجه؛**

(1) الشيخ حسن أحمد الهادي، رئيس التحرير.

كأنّ اللحم قدّ سُنّ على وجهه. والحمأ المسنون من ذلك، كأنّه قد صُبّ صبًّا»[1]. ثمّ تطوّر هذا المعنى وصار يُستعمل في القوانين التي يجري عليها الفعل الإلهيّ في المجتمعات الإنسانيّة؛ سواء كان ذلك في عالم التشريع أو في عالم التكوين. ويشير المصطفوي إلى هذا التحوّل في معنى السنّة من جريان الماء إلى جريان القوانين والأوامر والأحكام الإلهيّة بقوله: «**جريان أمر منضبط؛ سواء كان هذا الأمر وجريانه في ظهور صفة أو عمل أو قول، وتختلف باختلاف الموارد... وسُنّة الله تعالى: جريان من ظهور صفاته على ضوابط مخصوصة، وهذه الضوابط تختلف باختلاف كلّ صفة وبمقتضى خصوصيّاتها»**[2].

السنن في القرآن الكريم

يظهر للمتدبر في آيات القرآن الكريم وضوح قضية السنن التي اعهتم بها الكتاب العزيز لما يترتب عليها من آثار على الخلق بشكل عام وعلى المجتمع البشري بشكل خاص، فمرّة يخبرنا القرآن الكريم عن خضوع التاريخ البشريّ لمجموعة من القوانين والسنن على نحوٍ عامٍّ، وثانية يخبرنا عن سننٍ بعينها من خلال ذِكْر المصاديق والأمثلة لهذه السنن، وثالثة يمزج القرآن بين النظريّة والتطبيق بحيث يبيّن المفهوم الكلّيّ في إطار المصداق، ورابعة يدعونا إلى النظر في التاريخ والتأمّل في مصائر الأمم الغابرة؛ كي نكتشف القانون ونَعِي السنّة[3]. ومن أمثلة القسم الأوّل قوله -تعالى-: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[4]. ومن أمثلة القسم الثاني قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ

(1) ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، مادّة: سنّ.
(2) المصطفوي، محمد: التحقيق في كلمات القرآن، ج5، ص288.
(3) انظر: الصدر،محمد باقر: المدرسة القرآنيّة، ط1، قم، مركز الأبحاث والدراسات التخصّصيّة للشهيد الصدر، 1421هـ.ق، ص54-56.
(4) سورة الأعراف، الآية 34.

عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾[1]. ومن أمثلة القسم الثالث الحثّ على النظر في مصائر الشعوب السابقة قوله -تعالى-: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾[2].

فقد وردت كلمة سنّة في القرآن الكريم مرّات عدّة في سياقات مختلفة؛ منها، وربّما أكثرها، بمعنى المنهج والسيرة التي يجريها الله على بعض المجتمعات الإنسانيّة. قال الله -تعالى-: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[3]. يقول السيّد الطباطبائي (قده) في تفسير هذه الآية: «**والسنّة هي الطريقة والسيرة. أمر النبيّ ﷺ أن يبلّغهم ذلك، وفي معناه تطميع وتخويف، وحقيقته دعوة إلى ترك القتال والفتنة ليغفر الله بذلك... فإنْ لم ينتهوا عمّا نهوا عنه فقد مضت سنّة الله في الأولين منهم؛ بالإهلاك، والإبادة، وخسران السعي**»[4].

وقال الله -تعالى-: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا﴾[5]. وفي هذه الآية يبيّن الله -عزّ وجلّ- أيضًا طريقته ومنهجه في التعامل مع الذين يحاولون الصدّ عن سبيله؛ بإخراج رسله عليهم السلام من ساحة دعوتهم وتبليغهم. وتقضي هذه الطريقة بأنّ المخرِجين سوف يستأصلهم الله من الأرض التي أخرجوا منها رسوله ﷺ ويفكّك وحدتهم الاجتماعيّة التي كانت تربط بينهم وتدفعهم إلى ما أقدموا عليه من عدوان.

وقال الله -تعالى-: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[6]. وتشبه هاتان الآيتان سابقتهما من

(1) سورة الأنعام، الآية 34.
(2) سورة يوسف، الآية 109.
(3) سورة الأنفال، الآية 38.
(4) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج9، ص75.
(5) سورة الإسراء، الآيتان 76-77.
(6) سورة فاطر، الآيتان 42-43.

حيث المضمون؛ وذلك أنّ الله في هاتين الآيتين يهدّد المستكبرين الذين يقسمون على الاهتداء، ولكنّهم بعد ذلك يستكبرون ويمكرون بالمنذرين الذين يأتون إليهم من قبل الله تعالى، يهدّدهم بما تقتضيه الطريقة والسنّة الإلهيّة في التعامل مع الأمم التي سبقتهم، ويلفت نظرهم في الآيتين اللاحقتين إلى هاتين الآيتين ويدعوهم إلى السير في الأرض والاعتبار بما جرى على الأوّلين وبالقوانين التي طبّقها الله -عزّ وجلّ- على من سبقهم من الأمم. وتفيدنا الآيات المتقدّمة أمورًا عدّة نستعرضها في الآتي:

- **العلاقة بين الفعل وردّ الفعل:** السنّة تشبه القانون الذي يحكم العلاقة بين الفعل وردّ الفعل. ففي الآية الأولى يحدّثنا الله عن ملازمة المخاطبين بالآية سيرة الأمم الماضية (الفعل) وعن انطباق سنّة الله على الأمم الماضية عليهم (ردّ الفعل). وفي الآية الثانية يخبرنا -عزّ وجلّ- عن أنّ إخراج الرسول من ميدان دعوته سوف يؤدّي (الفعل) إلى تفكّك المتمرّدين وفقدانهم وحدتهم الاجتماعيّة (ردّ الفعل). والأمر نفسه يُقال فيما يرتبط بالآية الثالثة.

- **المعرفة المسبقة:** يذكر العلماء أنّ ميزة القوانين التي يقدر العلم على اكتشافها أنّها تسمح للإنسان بالتنبّؤ بالأحداث الآتية في الطبيعة. فيؤدّي فهم الإنسان لقانون الجاذبيّة إلى قدرة المهندسين مثلًا على تنظيم الأبنية وفق قوانين محدّدة تسمح بتماسك البناء وتحوُّل دون انهياره. وكذلك فهم القانون الذي يؤدّي إلى الكسوف أو الخسوف يؤدّي إلى إمكان التنبّؤ بحدوث هاتين الظاهرتين قبل حصولهما وعلى هذين الأمرين يُقاس ما سواهما. وفيما نحن فيه معرفة سنّة الله في الأمم الماضية تهدي الإنسان إلى توقّع النتائج والآثار التي تترتّب على أفعاله. ولا تغفل الآيات المتقدّمة هذه الخصوصيّة في السنّة، بل تلفت النظر إليها بطريقة واضحة عندما تدعو إلى الاعتبار الذي هو النظر في مصائر السابقين والآثار التي ترتّبت على أفعالهم لمعرفة الآثار والنتائج التي سوف تترتّب في حال تكرّر الفعل نفسه أو ما يشبهه من الأمّة المدعوّة إلى الاعتبار بمن سبقها من الأمم.

- **الدوام والاستمرار:** الدوام والاستمرار أو الاطّراد هو من الخصائص التي تجعل المبدأ قانونًا وسنّة؛ سواء كان ذلك في مجال العلم الطبيعيّ، أو في مجال الإنسان والمجتمع. فلا يكون القانون قانونًا إلا إذا انطبق على الجميع بطريقة واحدة. وحتّى الاستثناءات التي يظهر لأوّل وهلة أنّها تخرق القاعدة يجب أن تكون خاضعة لاستثناء قانونيّ ينسجم مع القانون الأصليّ. ومن هنا لا تكون المعجزات خرقًا للقوانين التي تحكم علاقة العلّة بالمعلول، ولا يكون رفع التكليف -مثلًا- عن بعض الناس خرقًا للقانون التشريعيّ، بل هو قانون يؤدّي إلى الاستثناء بشكلٍ قانونيّ. والآيات المتقدّمة تشير إلى دوام هذا المعنى بوضوح يغنينا عن الشرح والتفصيل.

- حفظ الاختيار:الخصوصيّة الرابعة من خصوصيّات القوانين الاجتماعيّة أنّها تحفظ للإنسان اختياره ولا تلغي إرادته. بل حتّى في القوانين الطبيعيّة عندما يكتشف الإنسان سرّ القانون ويفهمه حقّ فهمه؛ فإنّه، وإنْ لم يكنْ قادرًا على تبديله وتغييره: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾، لكنّه قادرٌ على التكيّف معه والاستفادة منه. فالإنسان لا يقدر على إبطال قانون الجاذبيّة، ولكنّه قادرٌ على تكييف حياته معه والاستفادة منه وتوجيهه في خدمة أغراضه؛ ولو في حدود مرسومة لا يمكن تجاوزها. فبدل أنْ يجري علينا قانون الجاذبيّة ويسقطنا من أعلى إلى أسفل يمكننا الاستفادة منه في الاستقرار على وجه الأرض. والقوانين الاجتماعيّة -أيضًا- يمكن التعامل معها بهذه الطريقة، فيمكن للإنسان أن يقدم على تحقيق الفعل ليتحقّق ردّ الفعل، أو العكس يمتنع عن الفعل ويستفيد من تجربة الأمم الماضية، فلا يجري عليه ما جرى عليهم.

أثر معرفة السنن القرآنية:

لا بدّ من الالتفات إلى أنّ السنّن الإلهيّة يتكرّر حدوثها في المجتمعات البشريّة المعاصرة؛ سواء التفت الناس إليها أم لم يلتفتوا إلى أسباب حدوثها

وظروفها، وما سقوط الظالمين من أنظمة وحكّام، ونصرة المظلومين والمستضعفين وعزّتهم؛ إلا خير دليل وبرهان على ذلك.

وإنّ معرفةُ السننِ الإلهيّةِ وإمعانُ النظرِ فيها واستحضارها؛ من أعظم أسباب حياة القلبِ وإيمانه وإجلاله للخالقِ المدبّرِ،ففيه تلوحُ الحكمةُ ظاهرةٌ في أمرِ تدبيرِ الكونِ ونظامه، وأنَّه جارٍ على تلك السننِ المحْكمةِ التي لا تتغيِّرُ ولا تتبَّدلُ، فأحداثُ التاريخِ تعيدُ نفسَها وإنْ تغيرَّ شيءٌ من صورها وملامحها، وقراءتها واستقراؤها ممّا يسقي نَبْتَ المعرفةِ ويحُيي نورَ البصيرةِ، ويقوِّي روحَ اليقينِ في وعد اللهِ ووعيدِه وقدرته وانتقامه، فلا بدَّ منْ ربطِ كلِّ ما يستجدُّ منْ حدثٍ له تعلقٌ بتلك السُّننِ بسابقِه، وإلحاقِ بعضها ببعضٍ؛ لتكون سلسلةً متّصلةً مترابطةً، تَرسُم ُمنهاجًا واضحًاوتعطي تفاؤلًا وأملًا في استشراف المستقبل وما عسى أن يبذل من خلاله!.

وتظهر أهمّيّة البحث في السنن الإلهيّة، ومعرفة شروطها وخصائصها، وانتظامها وتناسقها، في أنّ معرفتهاتشكِّل منارةً لنا وهاديًا لتسخير الكون بكلّ ما فيه؛ من أجل فهم أشمل وأكمل للحياة، وبالتالي لامتلاك الأدوات المساعدة على استشراف المستقبل من خلالها، بما تتميّز بهمن الثبات والديمومة، إلا بما يقدّره الله؛ من أجل الابتلاء والامتحان للإنسان في هذه الأرض.

ومن الفوائد المهمّة -أيضًا- في دراسة السنن الإلهيّة أنّها تبعث الطمأنينة والوضوح في نفوس أتباع هذا الدين الإلهيّ، خاصّة وأنّنا نتحدّث عن هذه السنن من منظار القرآن الكريم، والذي يثبت لنا تاريخ البشريّة وما مرّ بها من أحداث ومجريات تجعل الإنسان قادرًا على أنْ يأخذ من هذه الأحداث تجارب صالحة تفيده في رسم مستقبله، وتمنعه وتحميه من الوقوع فيما وقع فيه غيره من البشر في سالف الأيام.

وكذلك فإنّ العلم بسنن الله -تعالى- الكونيّة العامّة يعتبر طريقًا إلى العلم بسنن الله الخاصّة في المجتمع البشريّ، ومعرفة تقلّبات الحياة فيه،

ومعرفة تطوّره، ومعرفة عوامل هذا التطوّر، ومعرفة مدى سلطان السنن الإلهيّة على هذا المجتمع؛ لأنّ العلم بهذه السنن؛ عامّها وخاصّها، هو القيّم على توجيه الحياة وتصريفها؛ بما وضع الله في خصائصها من طاقات لتصوير الظواهر الكونيّة ودوافعها القريبة أو البعيدة، وهذا العلم بالسنن الإلهيّة هو الذي وضع المجتمع الإسلاميّ في مكان الصدارة من الحياة يوم كان العلم بأوسع معانيه هو القائد لهذا المجتمع، فطاف آفاق السماوات والأرض؛ نظّارًا باحثًا يستشف الحقائق الكونيّة من وراء السجف، فيكشفها له القرآن ويهديه إلى أصولها.[1]

و«**إنّ إرشاد الله إيّانا إلى أنّ له في خلقه سننًا، يوجب علينا أنْ نجعل هذه السنن علمًا من العلوم، لنستلهم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمّة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبيّنون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وقد بيّنها العلماء بالتفصيل؛ عملًا بإرشاده؛ كالتوحيد، والأصول، والفقه، والعلم بسنن الله تعالى من أهمّ العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلّنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض؛ لأجل اجتلائها، ومعرفة حقيقتها**»[2].

السنن الإلهية والكيد للظالمين

حدّثنا القرآن في مواضع عدة عن سنّة إملاءُ اللهِ للظَّالمين وإرجاءُ عقوبَتِهم، وإمهالهُم إلى أجلٍ مسمًّى، مع إمدادهم بالنَّعم وإمتاعهم بزهرةِ الدُّنيا وزينتِها، ليس إلا من باب المكر بهم والكيد لهم؛ ليزدادوا إثمًا وبغيًا وطغيانًا وكفرًا. وهم لا يعلمون أنَّ الله يستدرجُهم من حيثُ لا يعلمون،

(1) انظر: خصاونة، عماد عبد الكريم؛قزق،خضر إبراهيم: السنن الإلهيّة في القرآن الكريمودورها في استشراف المستقبل، ص4.

(2) رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، ج4، ص114.

ثُمّ يأخذُهم-بغتةً-وهمْ لا يشعرون، ويحقّ عليهم العذاب بما أفسدوا من فطرة الله، وكفروا بأنعم الله، واغترُّوا بحلمه تعالى.قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾(1)، وأَمْلَيْتُ لَهَا:أي أخّرت في أجلها وأمهلتها.

وقال -تعالى-: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾(2)؛ ومعنى أمليت: أطلت وأمهلت، من الإملاء: أي الإمهال والتأخير.

وقال -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾(3)؛ وفيها تتنزَّلُ العقوبةُ من الله-تعالى-على الظَّالم وتكون العقوبةُ شديدةٌ-جدًّا-بحيث تكون عبرة وعظَة للعالمين. وهي قد تكون في الدنيا؛ ليرتدع بها الناس، وينزجر بها من تُسَوِّلُ له نفسُه سلوكَ الطريقِ نفسه، وقد يؤخّرها الله-عزّ وجلّ-ليوم القيامة، حيثُ العقوبةُ أَشَدُّ، والفضيحةُ أخزى، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾(4) .

فالإملاء الوارد في الآيات القرآنيّة هو الإمداد والإمهال الذي يواجه اللهُ سبحانه به بعض عباده المتمادين في المعصية، فيُستدرَجون إلى ارتكاب المزيد من الذنوب، يستحقّون بذلك العقاب الأليم، قال -تعالى-: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ (5)؛ أي أُمهِلهم.

ويشار -هنا- إلى أنّ ما ينسبه القرآن الكريم إلى الله -تعالى- من المكر، والكيد، والخدعة، وأمثال ذلك، راجع إلى الجزاء الإلهيّ للعبد أو للمجتمع العاصي والظالم.

(1) سورة الحج، الآية 48.
(2) سورة الرعد، الآية32.
(3) سورة هود، الآية102.
(4) سورة إبراهيم، الآية42.
(5) سورة الأعراف، الآية183.

السنن الإلهية وإحياء المجتمعات

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [1]. فالإحياء هنا بمعنى إلقاء الحياة في الشيء وإفاضتها عليه، وفيها دلالة على أن الله سبحانه يكرم المؤمن الذي يعمل صالحا بحياة جديدة غير ما يشاركه سائر الناس من الحياة العامة، وما في الآية من طيب الحياة يلازم طيب أثرها وهو القدرة والشعور المتفرّع عليهما الأعمال الصالحة، وهما المعبر عنهما في القرآن الكريم بقوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به «[2] و﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ **فإن المراد بهذا النور العلم الذي يهتدي به الإنسان إلى الحق في الاعتقاد والعمل قطعاً. وهذه حياة خاصة كريمة لها آثار خاصة ملازمة لسعادة الانسان الأبدية**[3] **.إذاً «الحياة الطيبة»** في هذه الدنيا هي النتاج الطبيعي للعمل الصالح النابع من الإيمان، أيْ أنّ المجتمع البشري سيعيش حينها حياةً هادئةً مطمئنةً ملؤها الرفاه والسلم والمحبّة والتعاون، وفي أمان من الآلام الناتجة عن الإستكبار والظلم والطغيان وعبادة الأهواء والأنانية التي تملأ الدنيا ظلاماً وظلامات[4]. هذا إضافة إلى الجزاء الأحسن في عالم الآخرة.

وعليه فالحياة الطيبة هي الوضعية المنشودة لحياة البشر؛ في الأبعاد الإيمانية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والجهادية، والجسمية، والبيئية، والجمالية، والعلمية، والإدارية.ووفقاً لرؤويتنا الإسلامية لا مجال لفصل الحياة الطيبة بأبعادها ومراتبها كافة عن الإيمان والعمل الصالح الوارد في عدة آيات في القرآن الكريم على نحو التلازم. فطبقاً لآيات

(1) سورة النحل، الآية97.
(2) سورة الحديد، الآية28.
(3) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،
(4) آية الله ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج8، ص314.

كتاب الله إنّ الاستقامة والسعادة الحقيقة رهينتان بشرطين أساسيّين هما الإيمان والعمل الصالح، وانتفاء أحدهما سبب لانتفاء السعادة. فقد قرن الله عزّ وجلّ بينهما في الكثير من آياته: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (البقرة، 277، المائدة، 9؛ الكهف، 111؛ فاطر، 10؛ يونس، 9). ويدلُّنا هذا على مدى الارتباط الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان بلا عمل صالح لن يكون مفيداً.

وعند بيان العلّامة الطباطبائيّ للارتباط القائم بين الإيمان والعمل الصالح يذكر أنّ النتيجة الطبيعيّة للعمل الصالح هي الإيمان، فالإيمان والعمل الصالح وجهان لعملةٍ واحدة، وكلّ واحدٍ منهما يقوّي الآخر، فإذا كان الإيمان كاملاً فإنّه سوف يظهر من خلال العمل الصالح، كما أنّ الإيمان بالله عزّ وجلّ وبالمعاد هو السبب في الإتيان بصالح الأعمال، ولا يمكن الإتيان بعمل صالح مع انعدام الإيمان، ولو تحقّق ذلك فإنّه سوف يكون مجرّد مصادفة ولا أساس له ولا بنيان يقوم عليه. ولذا يذكر العلّامة الطباطبائيّ في ذيل الآية 110 من سورة الكهف، الآتي: «**إجمال الدعوة الدينيّة وهو العمل الصالح لوجه الله وحده لا شريك له وقد فرّعه على رجاء لقاء الربّ تعالى وهو الرجوع إليه إذ لولا الحساب والجزاء لم يكن للآخذ بالدين والتلبس بالاعتقاد والعمل موجب يدعو إليه**»[1] .

ويذكر العلّامة الطباطبائيّ أنّنا، ومن خلال تتبّع الآيات الكريمة، نصل إلى أنّ المظاهر العمليّة للإيمان تتجلّى في: الخشوع في الصلاة (المؤمنون، 2)، الإعراض عن اللغو (المؤمنون، 3)، الحافظين لفروجهم (المؤمنون، 5)، الذين يراعون عهدهم وأمانتهم (المؤمنون، 8)، المحافظين على صلاتهم (المؤمنون، 9)، والذين يؤدّون الزكاة (المؤمنون، 4) وغيرها.

والحمد لله ربّ العالمين

(1) الطباطبائي، الميزان، ج 13، ص 406.